

الامامة والسياسة

[171] إليك، وأستعين بك عليك، وبما صار معي من كريم جسدك، وطيب جوارحك، ليحيى عبدك. فأخذ هارون ذلك فلفثمه، ثم استعبر وبكى بكاء شديداً، وبكى أهل المجلس، ومر البشير إلى يحيى، وهو لا يظن إلا أن البكاء رحمة له، ورجوع عنه. فلما أفاق رمى جميع ذلك في الحق، وقال لها: لحسن ما حفظت الوديعة: قالت: وأهل للمكافأة أنت يا أمير المؤمنين. فسكت: وطبع الحق، ودفعه إليها، وقال: " إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها "، قالت: يا أمير المؤمنين وقال عز وجل: " وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل "، وقال تعالى: " وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم "، فقال لها: وما ذاك يا أم الرشيد؟ قالت: ما أقسمت لي به يا أمير المؤمنين، أن لا يحجبك عني حاجب. فقال لها: يا أم الرشيد، أحب أن تشتريه محكمة فيه. قالت: أنصفت يا أمير المؤمنين، وقد فعلت غير مستقيلة لك، ولا راجعة عنك. قال: بكم؟ قالت: برضاك عمن لم يسخطك: قال: يا أم الرشيد، أمانى عليك من الحق مثل الذى لهم؟ قالت: بلى يا أمير المؤمنين إنك لا عز علي، وهم أحب إلي. قال: إذا فتحكمي في ثمنه بغيرهم. قالت: بلى وقد وهبتك وجعلتك في حل منه، وقامت عنه، فبقى الرشيد مبهوراً، ما يحير لفظه. قال سهل: وخرجت عنه فلم تعد إليه، ولا والله إن رأيت عيني لعينها عبرة، ولا سمعت أذننى لنعيها أنه. قال سهل: وكان الأمين رضيع يحيى بن جعفر، فمت إليه يحيى بن خالد بذلك، فوعده استيهاب أمه إياهم، ثم شغله اللهو عنهم، فكتب إليه يحيى، وقيل: إنها لسليمان الأعمى أخى مسلم بن الوليد: يا ملاذى وعصمتي وعمادي * ومجيرى من الخطوب الشداد بك قام الرجاء في كل قلب * زاد فيه البلاء كل مزاد إنما أنت نعمة أعقبتها * أنعم نفعها لكل العباد وعد مولاك أتممة فأبهى الد * ر ما زين حسنه بانعقاد ما أظلت سحائب اليأس إلا * خلت في كشفها عليك اعتمادي إن تراخت بذاك عني فواقا * أكلتنى الايام أكل الجراد وبعث بها إليه، فبعثها الأمين إلى أمه زبيدة، فأعطها الرشيد وهو في موضع لذاته، وفي إقبال من أريحته، وتهيات للاستشفاع لهم، وهيات جواريتها ومغنياتها، وأمرتهن بالقيام إليه معها. فلما فرغ الرشيد من قراءتها لم ينقض حبوته (1) حتى وقع في أسفلها: عظيم ذنبك أمانات _____ (1) لم ينقض حبوته: أي لم يتحرك من مكانه، وأصل الحبة أن يجلس الرجل واضعاً ركبتيه منصوبتي الساقين ملتصقتين ببطنه، ولكن المراد هنا لم يتحرك من مكانه. (*)